٥ تساؤلات في الفقه والعقيدة

مشروعيّة التبرُّك
و
فلسفة التوسل
ودليل شرعيته

تأليف

سماحة الشيخ محمد صنقور

تساؤلات في الفقه والعقيدة (٥)

▣ مشروعيّة التبرّك

▣ فلسفة التوسّل ودليل شرعيّته

تأليف

الشيخ محمّد صنقور

تساؤلات في الفقه والعقيدة (٥)

تأليف: الشيخ محمّد صنقور

الناشر: انتشارات السيّدة المعصومة عليها السلام

المطبعة: ثامن الحجج عليه السلام

الطبعة: الأولى ١٥ شعبان ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

الكميّة: ٢٠٠٠ نسخة

شابك: ٦ـ٥٦ـ٨٩٧٥ـ٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

وقع البحث في الكتيب الذي بين يديك حول مسألتين من المسائل التي تعدُّ من بديهيّات التراث الديني ، إلا أنه ونظراً لكثرة الجدل حولهما رأيت من المناسب التصدي لمعالجة الشبهة التي عادةً ما تثار عنهما ، والمسألتان هما التبرُّك والتوسُّل بالنبي وأهل بيته عليهم السلام ، وما ورد في هذا الكتيب عبارة عن إجابتين عن سؤالين وردا إليَّ في وقتين مختلفين .

وكان السؤال الأول حول دعوى أن التبرُّك بآثار النبي وأهل بيته عليهم السلام من الشرك بالله عزَّ وجلَّ ؛ ذلك لأنَّ التبرُّك يستبطن الاعتقاد بأنَّ ثمَّة غير الله نافع وضارّ . وأجبنا عن ذلك بأنَّ التبرُّك لا يساوق

الاعتقاد بانتساب النفع والضرر استقلالاً لغير الله تعالى، فنحن وإن كنّا نسلِّم بأنَّ الاعتقاد بإمكانية استقلال غير الله بالنفع والضرر يكون الشرك، إلا أنَّ التبرُّك لا يعني ذلك وإنَّما يعني جعل النبي ﷺ طريقاً لتحصيل النفع أو دفع الضرر "البَرَكة"، فكما أنَّ عرض النفس على الطبيب لتحصيل الشفاء لا يعدُّ من الشرك نظراً لعدم الاعتقاد بإفادة ذلك للشفاء دون الله تعالى، فكذلك الحال في التبرُّك، فالتبرُّك بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام يعني التوسُّل بهم إلى الله تعالى لتحصيل البركة والخير، فإذا ما ترتَّب خير أو اندفع ضرر من التبرُّك بهم وبآثارهم فهو من الله تعالى وحده، فهم ليسوا سوى طريق لتحصيل ذلك الخير أو اندفاع ذلك الضرر، وليس في ذلك من محذور بعد أن اقتضت الإرادة الإلهية أن تجري الأمور وفق الأسباب والمقتضيات المجعولة له جلَّ وعلا.

فأي فرق بين أن يجعل الله تعالى هذا العشب طريقاً للشفاء وبين أن يجعل دعاء الرسول ﷺ أو سؤره أو عرقه طريقاً للشفاء بعد أن كانت مجاري الأمور ومقتضياتها بيده سبحانه وتعالى، فهو خالق الأشياء وهو الذي أودع فيها الآثار وكيَّفها بحسب حكمته وعنايته كيف شاء.

ثمَّ إنَّه ولغرض رفع الاستيحاش، نظَّرنا للتبرُّك بما ورد في القرآن من إبراء عيسى للأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، فكما أنَّ الاعتقاد بأن

عيسى كان يُبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ليس من الشرك ، فكذلك لا يعدُّ الاعتقاد بترتُّب البركة عن آثار الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من الشرك بالله جلَّ وعلا .

هذا وقد استعرضنا الكثير من الروايات الصحيحة الواردة من طرق السنَّة والمعبِّرة عن مشروعية التبرُّك بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام والتبرُّك بآثارهم ، كما تمَّ التطرُّق لآراء الصحابة والعلماء من أبناء السنَّة في ذلك ، وسوف يتَّضح من ملاحظة ما ذكرناه أنَّ الإشكال حول مسألة التبرُّك يعدُّ من الشبهة في مقابل البديهة .

وأما السؤال الثاني فكان حول التوسُّل وفلسفته ، لذلك بدأنا ببيان بعض الغايات التي نشأ عنها تشريع التوسل ، ثم أوضحنا حقيقته وبه تبيَّن فساد دعوى استلزامه للشرك ، وبعدئذٍ استعرضنا بعض الروايات الواردة من طرق السنَّة والمعبِّرة عن مشروعية التوسُّل بل ورجحانه .

وبعدئذٍ استعرضنا الروايات الواردة في التوسل والمعبِّرة عن مشروعيته بل ورجحانه ، وذكرنا إنَّها تفوق حدَّ التواتر ، خصوصاً إذا ضممنا ما ورد من طرق الشيعة إلى ما ورد من طرق السنَّة . هذا وقد اقتصرنا فيما استعرضناه على ما ورد من طرق السنَّة ، ذلك لأنه أبلغ في إقامة الحجة عليهم .

ختاماً ، أسأله تعالى أن يديم علينا عافيته ، ربَّنا إنَّنا سمعنا منادياً

ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا، ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنّا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار، ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنّك لا تخلف الميعاد.

والحمد لله رب العالمين.

محمّد صنقور

قم المقدّسة

مشروعيّة التبرُّك

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهمَّ صلِّ عَلىٰ محمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد

السؤال:

يذكر البعض أن التبرُّك بآثار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام من الشرك، بل إنَّ التبرُّك بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسه من الشرك لأنَّ الله عز وجل هو النافع والضار، فماذا تقولون؟

الجواب:

لا مجال عندي لإفاضة الحديث حول هذه المسألة إلا أني سوف أنقل لكم بعض الروايات الواردة من طرق العامة وفي أصحِّ كتبهم سنداً، وستجدون أنها تعبِّر عن منافاة هذا القول مع ما هو ثابت عن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وما هو مسلَّم عند الصحابة.

١ـ روى البخاري في صحيحه قال: "كان الصحابة يتبرَّكون بيديه الشريفتين، فعن أبي جحيفة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلَّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين إلى أن قال: وقام

الناس يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم، قال: فأخذتُ بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك[1].

٢ـ روى البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصبَّ عليَّ من فضل وضوئه فعقلت[2].

٣ـ روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن شهاب قال: أخبرني محمود بن الربيع قال: وهو الذي مجَّ رسول الله ﷺ في وجهه وهو غلام من بئرهم، وقال عروة عن المسوَّر وغيره يُصدِّق كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه، وإذا توضأ النبي ﷺ كادوا يقتتلون على وضوئه[3].

قال ابن حجر في شرحه فتح الباري على صحيح البخاري وفِعْلُ النبي ﷺ مع محمود إما مداعبةً أو ليُبارك عليه به كما كان ذلك شأنه مع أولاد الصحابة[4].

٣ـ روى البخاري بسنده عن أبي جحيفة قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبَّةٍ حمراء من أدم ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبي ﷺ والناس

---

(١) صحيح البخاري كتاب باب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٥٣ أخرجه مسلم ٥٠٣.

(٢) صحيح البخاري كتب الوضوء باب صبّ النبي ﷺ وضوءه على المغمَى عليه ح ١٩٤.

(٣) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب استعمال فضل الوضوء، سنن ابن ماجة ٢٤٦/١.

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ١٥٧/١ باب متى يصحّ سماع الصغير.

يتبادرون الوضوء فمن أصاب شيئاً تمسَّح به ومن لم يُصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه(١).

٤ ـ روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ثم قال للحلاق: خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يُعطيه الناس(٢).

٥ ـ روى مسلم بسنده عن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ والحلاَّق يحلقه وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل(٣).

٦ ـ روى البخاري بسنده عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من أهل أنس. قال: لإنْ تكون عندي شعرة منه أحبُّ إلي من الدنيا وما فيها(٤).

٧ ـ روى البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك قال: "إنَّ أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعاً فيُقيل عندها على ذلك النطع قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سك. قال: فلمّا حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إليَّ أنْ

---

(١) صحيح البخاري كتاب اللباس باب القبّة الحمراء ح ٥٨٥٩ أخرجه مسلم ٥٠٣.

(٢) صححي مسلم ١٦٩١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ٨٣/١٥، السنن الكبرى للبيهقي: ٦٨/٧، مسند أحمد: ٥٩١/٣.

(٤) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب الماء الذي يغسل شعر الإنسان: ٥١/١.

يُجعل في حنوطه مِن ذلك السُّك، قال فجُعل في حنوطه".

قال ابن حجر: في شرحه فتح الباري: "وفي ذكر الشعر غرابة في هذه القصة، وقد حمله بعضهم على ما ينتشر من شعره ﷺ عند الترجُّل، ثم رأيت في رواية محمد بن سعد ما يُزيل اللبس فإنه أخرج بسندٍ صحيح عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ لمَّا حلق شعره بمنى أخذ أبو طلحة شعره فأتى بها أم سليم فجعلته في سكِّها.

قالت أم سليم: وكان يجي فيقيل عندي على نطعي فجعلت أسلت العرق[1].

٨ ـ روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي موسى قال دعا النبي ﷺ بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ثم قال لهما: "اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما"[2].

قال ابن حجر: والغرض من ذلك ـ يعني المج ـ إيجاد البركة فيه[3].

٩ ـ روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة ببردة قالت: يا رسول الله ﷺ إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها

---

(١) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب مَن زار قوماً فقال عندهم ح ٦٢٨١، فتح الباري ٥٩/١٦.

(٢) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب استعمال فضل الوضوء ح ١٨٨.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٢٣٦/١ باب استعمال فضل وضوء الناس.

رسول الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنَّها لإزاره، فجسَّها رجل من القوم، فقال يا رسول الله اكسنيها؟ قال نعم، فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت سألتها إياه وقد عرفت أنّه لا يردُّ سائلاً، فقال الرجل: والله ما سألتُها إلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل فكانت كفنه[1].

قال ابن حجر في كتابه فتح الباري: وفي رواية أبي غسان، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ، وقال في الشرح ما يستفاد مِن الحديث وفيه التبرُّك بآثار الصالحين[2].

١٢ ـ روى مسلم في صحيحه أن الصحابة كانوا يأتون بصبيانهم إلى النبي ﷺ للتبرُّك والتحنيك، قال " إن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيُبارك عليهم ويحنِّكهم "[3].

١٣ ـ روى الحاكم في المستدرك قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟

فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري، فقال إنّي لم آت الحجر

---

(١) صحيح البخاري ١٨٩/٧، مسند أحمد ٤٥٦/٦، سنن ابن ماجة ١١٧٧/٢.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ١٤٤/٣، ٢٨ باب من استعدَّ الكفن في زمن النبي ﷺ.

(٣) صحيح مسلم ١٦٩١.

وإنما جئت رسول الله ﷺ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله"(١).

١٤ ـ روى البخاري في صحيحه بسنده عن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرَّى أماكن من الطريق فيصلِّي فيها ويحدِّث أنَّ أباه كان يصلِّي فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلِّي في تلك الأمكنة، وحدثني نافع عن ابن عمر أنه كان يصلِّي في تلك الأمكنة.

وسألت سالماً فلا أعلمه إلا وافق نافعاً في الأمكنة إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء(٢).

قال ابن حجر في كتابه فتح الباري في مقام شرحه للحديث: "عُرف من صنيع ابن عمر استحباب تتبع آثار النبي ﷺ والتبرُّك بها"(٣).

هذه بعض الروايات الصحيحة بحسب موازين أبناء العامة، ونحن وإن كنَّا لم نستقصِ كلَّ ما ورد في هذا الشأن خشية الإطالة إلا أن فيما ذكرناه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

---

(١) مستدرك الصحيحين: ج٥١٥/٥، مجمع الزوائد ج٢/٤ باب وضع الوجه على قبر النبي ﷺ.

(٢) صحيح البخاري: ١٣٠/١، الإصابة لابن حجر: ٣٤٩/٢ ترجمة عبد الله بن عمر.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٤٦٩/١.

التبرُّك بأهل البيت عليهم السلام

وأمّا التبرُّك بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فلأنهم أعظم آثاره، فإذا ساغ التبرُّك بقدحٍ شرب منه النبي صلى الله عليه وآله أو بماءٍ توضأ به أو بموقع صلّى فيه أو دُفن فيه أو ببُردةٍ اشتمل بها أو نطع جلس أو نام عليه، وإذا ساغ التبرُّك بشعره وريقه وعرقه فإن التبرُّك بأهل بيته يكون أجدر وأولى.

خصوصاً وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً(١)

---

(١) الأحزاب / ٣٣. نزلت هذه الآية في النبي محمّد عليه السلام وأهل بيته وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يوجد ذلك في: صحيح مسلم ك فشائل الصحابة ب ـ فضائل أهل بيت النبي صحيح الترمذي ج٣٠/٥ و٣٢٨ وج٢٠٩/٢ و٣٠٨ و٣١٩ وج٢٠٠/١٣، المستدرك للحاكم ج١٣٣/٣ و١٤٦ و١٤٧ و١٥٨ وج٤١٦/٢، تلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك، المعجم الصغير للطبراني ج٦٥/١ و١٣٥، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج١١/٢ ٩٢ ـ حديث: ٦٣٧ ـ ٦٤١ و٦٤٤ و٦٤٨ ـ ٦٥٣ و٦٥٦ ـ ٦٦١ و٦٦٣ ـ ٦٦٨ و٦٧٠ ـ ٦٧٣ و٦٧٥ و٦٧٨ و٦٨٠ و٦٨١ و٦٨٦ و٦٨٩ ـ ٦٩١ و٦٩٤ و٧٠٧ و٧١٠ و٧١٣ و٧١٤ و٧١٧ و٧١٨ و٧٢٩ و٧٤٠ و٧٥١ و٧٥٤ ـ ٧٦٢ و٧٦٤ و٧٦٥ و٧٦٧ ـ ٧٧٠ و٧٧٤، خصائصس أمير المؤمنين للنسائي ص٤ و٨ وص٤٩، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٨٥/١ ح٢٥٠ و٢٧٢ و٣٢٠ و٣٢١ و٣٢٢، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٥٤ و٣٧٢ ـ ٣٧٥ وقد صحّحه و٣٧٦ وص١٣ و٢٢٧ و٢٣٠ وقد صحّحه و٢٣١ و٢٣٢، مسند أحمد بن حنبل ج٣٣٠/١ وج٢٥٩/٣ وج١٠٧/٤ وج٢٩٢/٦ و٢٩٦ و٢٩٨، و٣٠٤ و٣٠٦ وج٢٥/٥ بسند صحيح، أسد الغابة ج١٢/٢ و٢٠ وج٤١٣/٣ وج٥٢١/٥ و٥٨٩، ذخائر العقبى ص٢١ و٢٣ و٢٤، أسباب النزول للواحدي ص٢٠٣، المناقب للخوارزمي ص٢٣ و٢٢٤، تفسير الطبري ج٦/٢٢ و٧ و٨، الدر المنثور ج١٩٨/٥ و١٩٩، أحكام القرآن للجصاص ج٢٣٠/٥

←

وباهَلَ بهم نصارى نجران وأنزل فيهم آيـة المـباهلة[1]. وأثـنى عليهم

← وج ٤٤٣/٥، مناقب علي بن أبي طالب لابـن المغازلي ص ٣٠١ ح ٣٤٥ و٣٤٨ ـ ٣٥١. مصابيح السـنة للبغوي ج ٢٧٨/٢ وج ٢٠٤/٢، مشكـاة المـصابيح ج ٢٥٤/٣، الكشـاف للزمخشري ج ١٩٣/١ وج ٣٩٦/١، تفسير ابن كثير ج ٤٨٣/٣ ـ ٤٨٥، تـفسير القـرطبي ج ١٨٢/١٤، التسـهيل لعـلوم التـنزيل ج ١٣٧/٣، التـفسير لمـعالم التـنزيل للـجاوي ج ١٨٣/٢، الإتقان في علوم القرآن ج ٢٤٠/٤ وج ٢٠٠/٢، تذكرة الخـواص للسـبط بـن الجـوزي ص ٢٣٣، مـطالب السـؤل ج ١٩/١ و٢٠ ص ٨، أحكـام القـرآن لابـن عـربي ج ١٦٦/٢ وج ١٥٢٦/٣، الفـصول المـهمة لابـن الصـباغ ص ٨، الإصـابة لابـن حـجر ج ٥٠٢/٢ وج ٣٦٧/٤ وج ٥٠٩/٢ وج ٣٧٨/٤، فرائد السـمطين للـحمويني ج ٩/٢ و٢٢، ترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق لابن عساكر ص ٦٣ ح ١١٣ ـ ١٢٨، الصـواعـق المـحرقة ص ٨٥ و١٣٧ وص ١٤١ و٢٢٧، إسـعاف الراغبين بـهامش نـور الأبـصار ص ١٠٤ ـ ١٠٦ وص ٩٧ و٩٨، فتح القدير للشوكاني ج ٢٧٩/٤، نور الأبصار للشبلنجي ص ١٠٢ وص ١٠١، إحقاق الحق للتستري، الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ج ٣٧/٣ وج ٣٧/٣، ينابيع المودة للقندوزي ص ١٠٧ و١٠٨ و٢٢٨ ـ ٢٣٠ و٢٤٤ و٢٦٠ و٢٩٤ وص ١٢٤ ـ ١٢٦ و١٣٥ و١٩٦ و٢٢٩ و٢٦٩ و٢٧١ و٢٧٢ و٣٥٢ و٣٥٣، العـقد الفريد ج ٣١١/٤ وج ٣٩٤/٢ وج ٢٧٥/٢، فتح البيان في مقاصد القـرآن ج ٣٦٣/٧ و٣٦٤ و٣٦٥، الرياض النضرة ج ٢٤٨/٢، الأنوار المحمدية للنبهاني ص ٤٣٤، جواهر البحار للنبهاني ج ٣٦٠/١، الفضائل لأحمد بن حنبل ترجمة الإمام الحسين ص ٢٨ ح ٥٧.

(١) آل عمران/٦١. أجمع المسلمون أنَّ الآية نـزلت فـي النبي وعـلي وفـاطمة والحسـن والحسين عليهم السلام راجع: صحيح مسلم كتاب الفضائل بـاب مـن فـضائل عـلي بـن أبـى طالب، صحيح الترمذي ج ٣٩٣/٤ وج ٣٠١/٥، شواهد التنزيل للحسكاني ج ١٢٠/١ ـ ١٢٩ ح ١٦٨ و ١٧٠ ـ ١٧٣ و ١٧٥، المستدرك علي الصحيحين للـحاكـم ج ١٥٠/٣ وصحّحه، تلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك، مناقب علي بـن أبـى طـالب لابن المغازلي ص ٢٦٣ ح ٣١٠، مسند أحـمد ج ١٨٥/١ وج ٩٧/٣ ح ١٦٠٨، كـفاية ←

أحسن الثناء في قرآنه في سورة الدهر[1]، وجعل مودّتهم أجراً

← الطالب للكنجي ص ٥٤ و ٨٥ و ١٤٢ وص ١٣ و ٢٨ ـ ٢٩ و ٥٥ و ٥٩، ترجمة الإمام علي بن أبى طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١/ ٢١ ح ٣٠ و ٢٧١، تفسير الطبري ج ٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠١ وج ٣/ ١٩٢، الكشاف للزمخشري ج ١/ ١٩٣ وج ١/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠، تفسير ابن كثير ج ١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١، تفسير القرطبي ج ٤/ ١٠٤، أحكام القرآن للجصاص ج ٢/ ٢٩٥ بتحقيق القمحاوى وادعى عدم الاختلاف في ذلك، أحكام القرآن لابن عربي ج ١/ ١١٥ وج ١/ ٢٧٥، التسهيل لعلوم التنزيل ج ١/ ١٠٩، فتح البيان في مقاصد القرآن ج ٢/ ٧٢، زاد المسير لابن الجوزي ج ١/ ٣٩٩، فتح القدير للشوكاني ج ١/ ٣١٦ وج ١/ ٣٤٧، تفسير الفخر الرازي ج ٢/ ٦٩٩ وج ٨/ ٨٥، تفسير أبي السعود بهامش تفسير الرازي ج ٢/ ١٤٣، جامع الأصول ج ٩/ ٤٧٠، تفسير الخازن ج ١/ ٣٠٢، معالم التنزيل للبغوي بهامش تفسير الخازن، تفسير الجلالين للسيوطي ج ١/ ٣٣ وص ٧٧، تفسير البيضاوى ج ٢/ ٢٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٩، الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٢ و ٨٧ و ٩٣ وص ١١٩ و ١٤٣ و ١٥٣، الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ٥، السيرة الحلبية ج ٢/ ٢١٢ وج ٢/ ٢٤٠، السيرة النبوية لزين دحلان بهامش الحلبية ج ٣/ ٥، المناقب للخوارزمي ص ٦٠ و ٩٧، الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١١٠، شرح النهج لابن أبى الحديد ج ٤/ ١٠٨ وج ١٦/ ٢٩١، أسد الغابة ج ٤/ ٢٦، الإصابة لابن حجر ج ٢/ ٥٠٩ وج ٢/ ٥٠٣، مرآة الجنان لليافعي ج ١/ ١٠٩، مشكاة المصابيح ج ٣/ ٢٥٤، الرياض النضرة ج ٢/ ٢٤٨، فضائل الخمسة ج ١/ ٢٤٤، إحقاق الحق للتستري ج ٣/ ٤٦ ـ ٦٢ وج ٩/ ٧٠ ـ ٧١.

(١) الدهر/ ٥ ـ ٢٢. هذه الآيات نزلت في: علي وفاطمة والحسن والحسين: بمناسبة قصة النذر راجع ذلك في شواهد التنزيل للحسكاني ج ٢/ ٢٩٨ ح ١٠٤٢ و ١٠٤٦ ـ ١٠٤٨ و ١٠٥١ و ١٠٥٣ ـ ١٠٥٩ و ١٠٦١، المناقب للخوارزمي ص ١٨٨ ـ ١٩٤، كفاية الطالب ص ٣٤٥ ـ ٣٤٨ وص ٢٠١، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزى ص ٣١٢ ـ ٣١٧، نور الأبصار للشبلنجى ص ١٠٢ ـ ١٠٤ وص ١٠١ ـ ١٠٢، الجامع لأحكام القرآن(تفسير ←

للرسالة(1)، ثم إنّهم الثقل الثاني بعد القرآن خلّفهما رسول الله ﷺ

← القرطبي) ج ١٩ / ١٣٠، الكشاف للزمخشري ج ١٩٧/٤ وج ٤ / ٦٧٠ وج ٢ / ٥١١، روح المعاني للآلوسي ج ٢٩ / ١٥٧، تفسير الفخر الرازي ج ١٣ / ٢٤٣ وج ٨ / ٣٩٢، تفسير أبى السعود بهامش تفسير الرازي ج ٨ / ٣٩٣، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبى ج ٤ / ١٦٧، فتح القدير للشوكاني ج ٥ / ٣٤٩ وج ٥٣٣٨/ ، الدر المنثور ج ٦ / ٢٩٩ تفسير الخازن ج ٧ / ١٥٩، معالم التنزيل للبغوي بهامش تفسير الخازن ج ٧ / ١٥٩، تفسير البيضاوي ج ٥ / ١٦٥ وج ٤ / ٢٣٥ وج ٢ / ٥٧١ ، تفسير النسفي ج ٤ / ٣١٨، أسد الغابة ج ٥ / ٥٣٠، أسباب النزول للواحدي ص ٢٥١، ذخائر العقبى ص ٨٨ و ١٠٢، مطالب السئول لابن طلحة ج ١ / ٨٨، العقد الفريد ج ٥/ ٩٦ وج ٣ / ٤٥، الإصابة لابن حجر ج ٤ / ٣٨٧ وج ٤ / ٣٧٦، إحقاق الحق للتستري ج ٣ / ١٥٨ ـ ١٦٩ وج ٩ / ١١٠ ـ ١٢٣، ينابيع المودة للقندوزى ص ٩٣ و ٢١٢ وص ١٠٧ ـ ١٠٨ و ٢٥١، نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٦٤، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١ / ٢١ وج ١٣ / ٢٧٦، الرياض النضرة ج ٢ / ٢٧٤ و ٣٠٢، فضائل الخمسة ج ١ / ٢٥٤.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: "قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" الشورى/٢٣ . هذه الآية نزلت في قربى الرسول وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين :. راجع : شواهد التنزيل للحسكاني ج ٢ / ١٣٠ ح ٨٢٢-٨٢٤ و ٨٢٦ـ٨٢٨ و ٨٣٢-٨٣٨، مناقب علي بن أبى طالب لابن المغازلي ص ٣٠٧ ح ٣٥٢ ذخائر العقبى ص ٢٥ و ١٣٨، المستدرك للحاكم ج ٣ / ١٧٢، تفسير الطبري ج ٢٥ / ١٤ و ١٥ وج ٢٥ / ٢٥ ، تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ / ٤٠٢، وج ٤/ ٢٢٠، تفسير الفخر الرازي ج ٧ / ٤٠٥ـ٤٠٦ وج ٢٧/ ١٦٦ ، تفسير البيضاوي ج ٤/ ١٢٣ وج ٥/ ٥٣ وص ٦٤٢، تفسير ابن كثير ج ٤ / ١١٢ ، مجمع الزوائد ج ٧ / ١٠٣ وج ٩ / ١٦٨، فتح البيان في مقاصد القرآن ج ٨ / ٣٧٢ تفسير القرطبي ج ١٦ / ٢٢، فتح القدير للشوكاني ج ٤ / ٥٣٧، الدر المنثور ج ٦ / ٧، تفسير النسفي ج ٤ / ١٠٥، الصواعق المحرقة ص ١٠١ و ١٣٥ و ١٣٦ وص ١٦٨ و ٢٢٥، مطالب السؤل لابن طلحة ص ٨ وج ١/ ٢١ ، الفصول المهمة لابن الصباغ ص ←

فـــي أمّــته، وأفــاد أن التـمسُّك بـهما أمـان مـن الضـلال، وأنَّــهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض[1]، وأفـاد أن عـلياً بـمنزلة هـارون مـن

← ١١، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٩١ و ٩٣ و ٣١٣ وص ٣١ و ٣٢ و ١٧٥ و ١٧٨، مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ / ١ و ٥٧، الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ٥ و ١٣، إحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص ١١٠، نـظم درر السـمطين ص ٢٤، نور الأبصار ص ١٠٢ وص ١٠٦، تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك للحاكم ج ١٧٢/٣، حلية الأولياء ج ٣ / ٢٠١، الغدير للأميني ج ٢ / ٣٠٦ ـ ٣١١، إحقاق الحق للتستري ج ٣ / ٢ ـ ٢٢ وج ٩ / ٩٢ ـ ١٠١، فـضائل الخـمسة ج ١ / ٢٥٩، الأنـوار المحمدية للنبهاني ص ٤٣٤.

(١) إشارة إلى مضمون الحديث المتواتر وهو حديث الثقلين قال صلى الله عليه وآله وسلم: "يا أيـها النـاس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي"، فقد أخرجه مسلم في صحيحه، وأخرجها الترمذي والنسائي والإمام أحمد في مسنده والطبرانـي في الكبير، والحاكم في مستدركه والذهبي في تلخيص المستدرك، وابن أبـى شـيبة وأبو يعلى في سننهما، وابن سعد في الطبقات، وغير واحد من أصحاب السنن بطرق متعددة وأسانيد كثيرة.

ويمكن مراجعة الحديث أيضاً في: صـحيح التـرمذي ج ٥ ص ٣٢٨ وج ١٣ ص ١٩٩ وج ٢ ص ٣٠٨، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٣، مصابيح السنة للبغوي ص ٢٠٦ وج ٢ ص ٢٧٩، جامع الأصول لابن الأثير ج ١ ص ١٨٧، مشكاة المصابيح ج ٣ ص ٢٥٨، إحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص ١١٤، الفتح الكبير للنبهاني ج ١ ص ٥٠٣ وج ٣ ص ٣٨٥، الشرف المؤبد للنبهاني أيضا ص ١٨، نظم درر السـمطين للـزرندى الحنفي ص ٢٣٢، ينابيع المودة للقندوزى الحنفي ص ٣٣ و ٤٥ و ٤٤٥ وص ٣٠ و ٤١ و ٣٧٠. وبلفظ ثان قال ٦: "إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الأخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن ←

موسى[1]، وأنّه مع القرآن والقرآن

← يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". راجع الحديث في: صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٢٩ وج ١٣ ص ٢٠٠ وج ٢ ص ٣٠٨، نظم درر السمطين للزرندى ص ٢٣١، الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٧ و ٣٠٦، ذخائر العقبى ص ١٦، الصواعق المحرقة ص ٨٩ وص ١٤٧ و ٢٢٦، أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ١٢، المعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ١٣٥، ينابيع المودة للقندوزى الحنفي ص ٣٣ و ٤٠ و ٢٢٦ و ٣٥٥ وص ٣٠ و ٣٦ و ١٩١ و ٢٩٦، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٣، عبقات الأنوار ج ١ من حديث الثقلين ص ٢٥، كنز العمال ج ١ ص ٤٤ ح ٨٧٤ وج ١ ص ١٥٤، الفتح الكبير للنبهاني ج ١ ص ٤٥١، تفسير الخازن ج ١ ص ٤، مصابيح السنة للبغوي ج٢ ص ٢٧٩ وص ٢٠٦، جامع الأصول لابن الأثير ج ١ ص ١٨٧، مشكاة المصابيح للعمري ج ٣ ص ٢٥٨.

وفى لفظ ثالث عن زيد بن ثابت قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض". راجع: الفضائل لأحمد بن حنبل بترجمة الإمام الحسين ص ٢٨ ح ٥٦. مسند أحمد بن حنبل ج ٥ / ١٨٢ و ١٨٩، فرائد السمطين للحموينى ج ٢ / ١٤٤ عن زيد بن ثابت قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي ألا وهما الخليفتان من بعدى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض".

وعن أبى سعيد الخدري أيضا: "إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الأخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض". الفضائل لأحمد بن حنبل ص ٢٠ ح ٣٥ ترجمة الحسين وح ٣٦.

ويوجد هذا الحديث بألفاظ أخرى متعددة ومصادر كثيرة جدّاً.

(١) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة وقد صدر عن الرسول في عدة موارد فقد رواه أكثر من خمس وعشرين صحابيّاً. وقال شمس الدين الجزري الشافعي بعد ذكر ←

معه[1]، وأنَّ فاطمة بضعة منه يؤذيه ما يؤذيها ويرضى الله لرضاها

← الحديث: متفق على صحته. بمعناه من حديث سعد بن أبى وقاص، قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: وقد روى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم عمر، وعلى، وابن عباس، وعبد الله بن جعفر، ومعاذ، ومعاوية، وجابر بن عبدالله، وجابر بن سحرة، وأبو سعيد، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن أبى أوفى، ونبيط بن شريط، وحبشي بن جنادة، وماهر بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأبو الطفيل، وام سلمة، وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت حمزة.

راجع: أسنى المطالب للجزري ص ٥٣، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١، وخرج هذا الحديث أبو حازم الحافظ بخمسة آلاف اسناد كما ذكره الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١/١٥٢. وأفرد فيه صاحب عبقات الأنوار مجلدين ضخمين وأتى بما فوق المتوقع.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب عند ترجمته لأمير المؤمنين: وهو ـ أي حديث المنزلة ـ من أثبت الآثار وأصحها. وبما أنَّ مصادره كثيرة جداً فمن أرادها فليراجعها في كتاب سبيل النجاة في تتمّة المراجعات.

(١) إشارة إلى قوله ﷺ من حديث أم سلمة إذ قالت: سمعت رسول الله يقول: "علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض". أخرجه الحاكم في باب علي مع القرآن والقرآن مع علي ص ١٢٤ من الجزء الثالث من مستدركه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأورده الذهبي في تلخيصه مصرحا بصحته.

وقد قال رسول الله ﷺ في مرض موته والحجرة غاصة بأصحابه: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا فينطلق بى وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم إلا أني مخلف فيكم كتاب ربي عزَ وجلَ وعترتي أهل بيتي. ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان". الحديث تجده في الفصل ٢ من الباب ٩ من الصواعق المحرقة ص ٧٥.

حديث الثقلين وكون علي مع القرآن والقرآن معه: راجع: المعجم الصغير للطبراني ←

ويغضب لغضبها(١)، وأنَّ الحسن والحسين ريحانتاه

→ ج ١ / ٥٥، المناقب للخوارزمي ص ١١٠، كفاية الطالب ص ٣٩٩ وص ٢٥٤، مجمع الزوائد ج ٩ / ١٣٤، الصواعق المحرقة ص ١٢٢ و ١٢٤ وص ٧٤ و ٧٥، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٣، إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٥٧ وص ١٤٣، نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٣، الغدير للأميني ج ٣/ ١٨٠، ينابيع المودة للقندوزي ص ٤٠ و ٩٠ و ١٨٥ و ٢٣٧ و ٢٨٣ و ٢٨٥ وص ٤٤ و ١٠٣ و ٢١٩ و ٢٨١ و ٣٣٩ و ٣٤٢.

يوجد في: الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ١٢٤ وص ٧٥، ينابيع المودة للقندوزى الحنفي ص ٢٨٥ وص ٣٤٢.

وقوله ﷺ: "علي مع القرآن والقرآن مع على لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" يوجد في: المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٢٤ وصححه، تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك ج ٣ ص ١٢٤ وصححه أيضاً، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ١١٠ وص ١٠٧، المعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ٥٥، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٣٩٩ وص ٢٥٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٤، الصواعق المحرقة ص ١٢٢ و ١٢٤ وص ٧٤ و ٧٥، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٣، إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار ص ١٥٧ وص ١٤٣، الغدير للأميني ج ٣ ص ١٨٠، نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٣، فيض القدير للشوكاني ج ٤ ص ٣٥٨، الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٥٦، الفتح الكبير للنبهاني ج ٢ ص ٢٤٢.

(١) قوله ﷺ لفاطمة: "إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك" راجع: الإصابة ج ٣٦٦/٤، كنز العمال ج ١٢ / ١١١ وج ١٣ / ٦٤٦، المستدرك للحاكم ج ٣ / ١٥٤، جواهر البحار للنبهاني ج ١ / ٣٦٠، فرائد السمطين ج ٢ / ٤٦ ح ٣٧٨، مناقب على بن أبى طالب لابن المغازلى ص ٣٥١ ح ٤٠١، أسد الغابة ج ٥ / ٣٢٢، تهذيب التهذيب ج ١٢ / ٤٤١، ذخائر العقبى ص ٣٩، مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ / ٥٢، مجمع الزوائد ج ٩ / ٢٠٣، فضائل الخمسة ج ٣ / ١٥٥، الغدير ج ٣ / ١٨٠.

قوله ﷺ: "فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها".

←

وحبيباه[١]، وأنّهما منه وهو منهما[٢]، وأنّهما إماماں وسيّدا شباب أهل الجنة[٣]، وقد أورثهما علمه وحلمه وحكمته وسؤدده وكلَّ سجاياه ومكارم أخلاقه[٤].

← راجع: صحيح البخاري ك النكاح ب ذب الرجل عن ابنته، صحيح مسلم ك فضائل الصحابة ب ١٥ فضائل فاطمة ج ٤ / ١٩٠٢، صحيح الترمذي ك المناقب ب ـ ٦١ ـ فضل فاطمة ج ٥ / ٦٩٨ ح ٣٨٦٧، الإصابة ج ٤ / ٣٦٦، حلية الأولياء ج ٢ / ٤٠، سنن ابن ماجة ك النكاح ب ٥٦ الغيرة ج ١ / ٦٤٤ ح ١٩٩٨، كنز العمال ج ١٢ / ١٠٧ و ١١٢.

وأما غضب الرسول ﷺ لغضب فاطمة فراجع: صحيح البخاري ك فضائل الصحابة ب مناقب قرابة رسول الله ج ٥ / ٢٦ وب مناقب فاطمة ج ٥ / ٣٦، الجامع الصغير للمناوي ج ٢ / ١٢٢، الشرف المؤبد للنبهاني.

(١) راجع صحيح الترمذي: ج٣٠٦/٢، كنوز الحقائق: ٥، مجمع الزوائد للهيثمي ج١٧٥/٩، الإصابة لابن حجر: ج١١/٢، دخائر العقبى: ١٢٣، ١٢٤، مستدرك الصحيحين ج١٦٦/٣، مسند أحمد: ج٣٦٩/٥، مسند أبي داوود الطيالسي ج٣٣٢/١٠، ٣٢٧، صحيح البخاري كتاب الأدب في باب رحمة الولد وتقبيله.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٣٩٩/٦، صحيح ابن ماجة: ٢٨٩، مستدرك الصحيحين ج١١٧٦/٣، طبقات ابن سعد: ج٢٠٤/٨، صحيح الترمذي: ج٣٠٧/٢، صحيح ابن ماجة في باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، صحيح البخاري في الأدب المفرد في باب معانقة النبي ﷺ.

(٣) راجع صحيح الترمذي: ٣٠٦/٢، مستدرك الصحيحين: ج١٦٧/٣، حلية الأولياء ج١٣٩/٤، الإصابة لابن حجر: ١٨٦/٦، تهذيب التهذيب ج٣ ترجمة زيات بن جبير وسويد بن سعيد، النسائي في الخصائص: ٣٦، مسند أحمد بن حنبل: ج٣/٣، ٦٢، ٨٢، تاريخ بغداد: ج١٤٠/١، وغيرها كثير.

(٤) أسد الغابة لابن الأثير ج٣٦٧/٥، الإصابة لابن حجر: ج٩٥/٨، كنزل العمّال ج١١٠/٧.

فلماذا يصحّ ويسوغ التبرُّك بريق رسول الله ﷺ وبردته ويكون التبرُّك بأهل بيته عليهم السلام ـ الذين ورد فيهم ما ذكرناه وكثير مما لم نذكر ـ شِركاً وخروجاً عن التوحيد؟!!

التبرُّك بآثار أهل البيت عليهم السلام

وأمَّا دعوى أن التبرُّك بآثار أهل البيت عليهم السلام من الشِرك فأرى أن نجيب عنها في محاورَ ثلاثة:

المحور الأول: إنَّ التبرُّك بآثار أهل البيت عليهم السلام إذا كان من الشرك فالتبرُّك بآثار النبي ﷺ أيضاً من الشرك، وإذا لم يكن التبرُّك بآثار النبي ﷺ من الشرك فكذلك التبرُّك بآثار أهل البيت عليهم السلام.

ومنشأ الملازمة هو أنَّ مناط دعوى الشرك في الموردين واحد، فالتبرُّك بالشي يعني جعله طريقاً ووسيلة للبركة والنماء والخير أو قل جعله طريقاً لجلب منفعة ودفع مضرَّة، فإذا كان هذا من الشرك لأن الله وحده هو النافع والضار فلا فرق بين التبرُّك بآثار النبي ﷺ والتبرُّك بآثار أهل البيت عليهم السلام.

وإذا ثبت أن التبرُّك بآثار النبي ﷺ ليس من الشرك كما هو مقتضى ما تقدم من روايات فهذا معناه أنَّ مناط دعوى الشرك ليس تامّاً، وعليه تكون دعوى أنَّ التبرُّك بآثار أهل البيت عليهم السلام من الشرك بلا موجب.

هذا هو الجواب النقضي على الشبهة، وأما الجواب الحلّي فهو أنَّ جعل الشي طريقاً للنفع أو دفع الضرر إنما يكون شركاً بالله تعالى لو كان ذلك باعتقاد استقلاليته دون الله تعالى في تحصيل النفع ودفع الضرر، وأمّا لو كان عن اعتقادٍ بطريقيَّته لتحصيل النفع ودفع الضرر، وأنَّ من ينفع ويدفع الضرر حقيقةً هو الله تعالى وحده فذلك ليس من الشِرك في شي، فكما أن التوسُّل بعلاج الطبيب لتحصيل الشفاء ليس من الشرك لعدم الاعتقاد بأنَّ العلاج هو الشافي فكذلك التوسُّل بآثار أهل البيت عليهم السلام لتحصيل البركة والخير ليس من الشرك، لأن ذلك ينشأ عن اعتقادٍ بأن الله تعالى قد جعل آثار أهل البيت عليهم السلام طريقاً لتحصيل البركة، فإذا كان ثمة من خير أو بركة في آثارهم فهو من الله وحده.

ولذلك نظائر في القرآن الكريم كثيرة، فعيسى بن مريم كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى ولكن بإذن الله تعالى، فنحن نعتقد بذلك لإخبار القرآن به، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي**﴾(١).

فهل أنَّ الاعتقاد بذلك من الشرك، وهل الاعتقاد بأن الضرب بعضوٍ من بقرة بني إسرائيل جسدَ قتيلهم فتنبعث بذلك روحه بإذن الله، هل الاعتقاد بذلك من الشرك والحال أن القرآن أخبر به فوجب علينا

---

(١) المائدة / ١١٠.

تصديقه، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

فإذا لم يكن الاعتقاد بذلك وأمثاله من الشرك فلماذا يكون الاعتقاد بترتُّب النفع على بعض آثار أهل البيت عليهم السلام بإذن الله تعالى من الشرك؟

التبرُّك بغير آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المحور الثاني: ونورد في هذا المحور بعض ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحثّ أو في مشروعية التبرُّك بغير آثاره، كما سنورد فيه بعض ما أفاده أو فعله المسلمون فيما يتصل بالتبرُّك، والغرض من ذلك هو التأكيد على أصل مشروعية التبرُّك، وأن ذلك هو مذهب عموم المسلمين إلاّ من شذَّ منهم.

١ ـ وردت روايات عديدة مفادها أنَّ غبار المدينة المنورة شفاء من كلِّ داء، وأنَّه مما يُتداوى به من داء الجذام.

منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "غبار المدينة يُبرئ الجذام"[2].

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنَّ في غبارها شفاء من كل داء"[3].

---

(١) البقرة / ٧٢.

(٢) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٨٢٩.

(٣) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٨٢٨.

ومنها: قوله ﷺ: "والذي نفسي بيده أن تربتها لمؤمنة وأنها شفاء من الجذام"[1].

ومنها: قوله ﷺ: "غبار المدينة شفاء من الجذام" وفي رواية "غبار المدينة يُطفئ الجذام"[2].

هذه الروايات الواردة من طرق العامة تعبِّر عن أن الله تعالى قد جعل لأرض المدينة المنورة خصوصية هي أن ترابها وغبارها يقي من كلِّ داء ويشفي من الجذام، وهي بذلك تحثُّ على التبرُّك بها لتحصيل هذا النفع، فلو أن أحداً قصدها وتبرَّك بغبارها رجاء الوقاية من الأدواء أو الشفاء من الجذام معتقداً أنَّ تلك خصوصية قد منحتها العناية الإلهية لها وأنه ليس لها هذه الخاصيَّة لولا أن الله تعالى قد جعل لها ذلك، هل يصحُّ أن نرمي من قصدَ ذلك بالشرك لمجرَّد أنه اعتقد وجود هذه الخصوصية في أرض المدينة حتّى لو فرض عدم صحة هذه الأخبار؟!

٢ ـ وردت روايات عديدة تحثُّ على المسح باليد على الحجر الأسود والركن اليماني والمقام وتُخبر أنَّ لذلك آثاراً معنويّة وأخرى ماديّة:

منها: عن ابن عمر "أن مسح الحجر الأسود والركن اليماني

---

(١) وفاء الوفاء: ٦٧/١.

(٢) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٨٣٠.

يحطَّان الخطايا حطاً"[1].

ومنها: عن ابن عمرو: "أن الركن والمقام من ياقوت الجنَّة ... وما مسَّها من ذي عاهة أو سقم إلا شفي"[2].

ومنها: عن ابن عمر: "أن مسحهما كفارة للخطايا" يعني الركنين[3].

ودلالة هذه الروايات على أن الحجر الأسود والركن اليماني والمقام من المواطن التي جعل الله فيها البركة واضحة، كما أن دلالتها على استحباب تحصيل الآثار المذكورة أيضاً واضحة وهذا هو معنى التبرُّك.

٣ـ وردت روايات مستفيضة إن لم تكن متواترة تحثُّ على الاستشفاء بماء زمزم والتبرُّك به:

منها: عن أبي ذر "أنَّها ـ أي زمزم ـ مباركة، وهي طعام طعم وشفاء سقم"[4].

ومنها: عن صفية: "ماء زمزم شفاءٌ من كلِّ داء"[5].

---

(١) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٣٢.

(٢) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٤٢.

(٣) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٥٧.

(٤) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٦٩.

(٥) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٧٧.

ومنها: عن ابن عباس: "التضلُّع من ماء زمزم براءة من النفاق"(١).

ومنها: عن ابن عباس "ماء زمزم لِما شُرب له، فإن شربته تستشفي شفاك الله، وان شربته مستعيذاً أعاذك الله، وان شربته ليقطع ظمأك قطعه الله وان شربته ليشبعك أشبعك الله، وهي هزمة جبرائيل وسقيا إسماعيل"(٢).

ومنها: عن جابر: "ماء زمزم لِما شُرب له، فمن شربه لمرضٍ شفاه لله أو لجوعٍ أشبعه الله أو لحاجةٍ قضاها الله"(٣).

تلاحظون أنَّ هذه الروايات الواردة عن الرسول ﷺ صريحة في أن الله تعالى جعل ماء زمزم وسيلة لتحصيل البركة والنفع ودفع الضرر.

٤ـ وردت أكثر من رواية في (الملتزَم) مفادها أنه موضع لاستجابة الدعاء.

منها: عن ابن عباس: "ما دعا أحد في هذا الملتزَم إلا استُجيب له"(٤).

ومنها: عن ابن عباس: "ما بين الركن والمقام مُلتزَم ما يدعو به

---

(١) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٧٨.

(٢) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٧٥.

(٣) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٧٦.

(٤) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٥٨.

صاحب عاهة إلا برئ "[١].

فالملتزَم بحسب هذه الروايات من مواطن استجابة الدعاء، وذلك يعبِّر عن وجود خصوصية أودعها الله عزَّ وجلَّ فيه ومنحها إياه، وهي تقتضي رجحان قصده لتحصيل هذا الأثر الممنوح من قبل الله تعالى.

وثمّة روايات أخرى كثيرة نوَّهت ببعض المواطن رأينا الإعراض عن ذكرها خشية الإطالة.

٥ ـ نقلتِ الكثيرُ من كتب علماء السنة ما يعبِّر عن وجود ارتكاز متشرعي وسيرة متشرعيَّة دأب المسلمون على سلوكها والجري عليها دون نكير إلا ممن شذَّ منهم، هذه السيرة هي التبرُّك بقبور الصالحين والشهداء.

منها: ما ورد في المغني لابن قدامة الحنبلي قال: "يُستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم، وكذلك في البقاع الشريفة"[٢].

ومنها: ما أفاده الغزالي في كتابه إحياء العلوم: " ... أن يسافر لأجل العبادة، إما لحج أو جهاد ... ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكلُّ من يُتَبرَّك

---

(١) كنز العمّال للمتّقي الهندي ٣٤٧٥٩.

(٢) المغني لابن قدامة المقدسي.

بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ...."[1].

ومنها: " ما أفاده الحاكم في المستدرك وابن الجوزي في صفوة الصفوة عن قبر أبي أيوب الأنصاري قال: يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا "[2].

ومنها: ما ذكره ابن جبير في رحلته: " بلال الحبشي مؤذِّن رسول الله ﷺ، قبره بدمشق وفي رأس القبر المبارك تاريخ باسمه، والدعاءُ في هذا الموضع المبارك مستجاب وقد جرَّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبركين بزيارته"[3].

ومنها: ما أفاده السمهودي في كتابه وفاء الوفاء عن قبر صهيب الرومي: "إنهم جرَّبوا تراب قبر صهيب للحمَّى "[4].

٦ ـ نقلتِ الكثيرُ مِن كتب السنة تبرُّك المسلمين بل والعلماء بآثار الصالحين.

منها: ما ذكره في مجمع الزوائد عن ابن عمر أنَّه قال: قلت يا رسول الله، أتوضأ مِن جَرٍّ جديد مخمَّر أحبُّ إليك أم من المَطاهر؟ قال ﷺ: لا بل من المَطاهر إن دين الله يسَّر الحنيفيَّةَ السمحة" قال:

---

(١) إحياء العلوم للغزالي.

(٢) مستدرك الصحيحين: ٥١٨/٣، صفوة الصفوة لابن الجوزي: ٤٠٧/١.

(٣) رحلة ابن جبير: ٢٥١.

(٤) وفاء الوفاء للسمهودي: ٦٩/١.

"وكان رسول الله يبعث إلى المَطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين"[1].

قال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثَّقون[2].

ومنها: ما حُكي عن العلامة أحمد بن محمد المقري المالكي في فتح المتعال نقلاً عن ولي الدين العراقي قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزءٍ قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفَّاظ: أن الإمام أحمد سُئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ ومنبره فقال: لا بأس بذلك.

قال: فأرينا التقي ابن تيميَّة فصار يتعجَّب من ذلك ويقول: "عجبت من أحمد عندي جليل ... وقال وأيُّ عجب في ذلك، وقد روينا عن الإمام أحمد أنَّه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به"[3].

ومنها: ما ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة أن الحسن البصري حنَّكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي ﷺ فربَّما غابت فتعطيه أم سلمة ثدييها تعلِّله بها إلى أن تجي أمه فيدر عليه ثديها فيشربه، فكانوا يقولون فصاحته ببركة ذلك[4].

---

(١) مجمع الزوائد: ٢١٤/١.

(٢) مجمع الزوائد ٢١٤/١، كنز العمّال: ١٨٢٣١.

(٣) مناقب أحمد لابن الجوزي: ٦٠٩، البداية والنهاية لابن كثير: ٣٦٥/١٠ حوادث لسنة ٢٤١.

(٤) صفوة الصفوة لابن الجوزي: ٤٧/٣.

ومنها: ما ورد في تاريخ بغداد أن الإمام الشافعي كان يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجي إلى قبره كلَّ يوم، فإذا عرضتْ لي حاجة صلَّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجةَ عنده فما تبعد أن تُقضي[1].

ومنها: ما ورد في تاريخ بغداد، قال: ومقبرة باب الدير وهي التي فيها قبر معروف الكرخي أخبرنا بذلك إسماعيل بن أحمد الحيري، قال: أنبأنا محمّد بن الحسين السلمي قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا علي الصفار يقول: سمعت إبراهيم الحربي يقول: "قبر معروف الترياق المجرَّب"[2]. وورد ذلك عن إبراهيم الحربي في كتاب المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن محمّد بن مفلح[3].

التبرُّك بآثار أهل البيت عليهم السلام

المحور الثالث: ونُورد في هذا المحور بعض ما نقلته كتب أهل السنَّة من تبرُّك الصحابة والتابعين وعموم المسلمين بآثار أهل

(١) تاريخ بغداد ١٢٣/١ باب ما ذكر في مقابر بغداد.

(٢) تاريخ بغداد: ج ١٢٢/١.

(٣) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن مفلح: ج ٣٧/٣.

البيت عليهم السلام أو بآثار من يتَّصل بقرابةٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

منها: ما ذكره السمهودي في كتاب وفاء الوفاء عن مسلم بن أبي مريم وغيره أنَّه كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المربعة التي في القبر قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظَّك من الصلاة إليها فإنَّها باب فاطمة رضي الله عنها الذي كان عليٌّ يدخل عليها منه[1].

ومنها: ما ذكره السمهودي أيضاً وهو في صدد الحديث عن أسطوانة المحرس.

قال: كان عليٌّ بن أبي طالب يجلس في صفحتها... وهي الأسطوانة التي يصلِّي عندها أمير المدينة يجعلها خلف ظهره، ولذا قال الأقشهري: إنَّ أسطوانة مصلَّى علي عليه السلام اليوم أشهر من أن تخفى على أهل الحرم، ويقصد الأمراء الجلوس والصلاة عندها إلى اليوم، وذكر أنه يُقال لها مجلس القادة لشرف من كان يجلس فيه"[2].

ومنها: ما ورد في الطبقات الكبرى قال: لمَّا خرج الحسين بن علي عليه السلام من المدينة يريد مكة مرَّ بابن مطيع وهو يحفر بئره، فقال له: أين فداك أبي وأمي؟ قال: أردت مكة وذكر أنه كتب إليه شيعته بالكوفة، فقال له ابن مطيع: فداك أبي وأمي متِّعنا بنفسك ولا تسر إليهم فأبى الحسين عليه السلام، فقال له ابن مطيع: إن بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم

---

(١) وفاء الوفاء للسمهودي: ٤٥٠/٢.

(٢) وفاء الوفاء للسمهودي: ٤٤٨/٢.

أو ان ما خرج إلينا في الدلو شي من مـاء، فـلو دعـوت الله لنـا بـالبركة، قال عليه السلام: هات من مائها، فأتى من مائها فشرب منه ثم مضمض ثم رده في البئر فأعذب وأمهى"[1].

ومنها: ما ذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة، قال: "لما بـلغ الرضا علي بن موسى عليه السلام نيسابور واجتمع الناس حول دابَّته أخرج رأسه من المحمل وشاهده الناس، فهم بين صارخ وباكٍ وممزِّقٍ ثوبه ومتمرِّغٍ بالتراب ومقبِّلٍ لحافر بغلته أو مقبِّل حزام بغلته"[2].

ومنها: ما ورد في تهذيب التهذيب، قال أبو بكر بن مـحمد بـن المؤمل: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبـي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافـدون إلى زيـارة علي بن موسى الرضا بطوس. قـال: فـرأيت مـن تـعظيمه ـ يـعني ابـن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرُّعه عندها ما تحيَّرنا"[3].

ومنها: ما أخرجه الخطيب البغدادي بإسناده عن أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبـا عـلي الخـلال شيخ الحنابلة في عصره يقول: ما همَّني أمر فـقصدت قـبر مـوسى بـن

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٠٧/٥.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر: ٣١٠.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣٣٩/٧.

جعفر فتوسَّلت به إلا سهَّل الله تعالى لي ما أحبّ"[1].

ومنها: ما ذكره السمهودي في كتابه وفاء الوفاء، قال: كان أهل البيت عليهم السلام يتبرَّكون بحجرٍ في بيت فاطمة عليها السلام وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: إنّه ولَدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر أو كانت فاطمة تصلّي إليها"[2].

ومنها: ما حكي عن أن الشبراوي عقد باباً كبيراً في مشهد رأس الحسين عليه السلام وذكر فيه زياراته وشطراً من الكرامات له وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته قال: والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحة الدعوى ملية والأعمال بالنية، ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتى القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك فقال: هذا مكان شريف وبركته ظاهرة والاعتقاد فيه خير، والسلام[3].

ومنها: ما نقله السمهودي عن الزركشي قوله: " ثمّ استثنى في عدم جواز حمل تراب المدينة إلى غيرها ـ لكونها حرماً ـ تربة حمزة رضي الله عنه، لإطباق الناس على نقلها للتداوي ثم قال: حكى البرهان بن فرحون عن العالم أبي محمد عبد السلام بن إبراهيم بن مصال

---

(١) تاريخ بغداد: ١٢٠/١.

(٢) وفاء الوفاء للسمهودي: ٥٧٢/١.

(٣) تذكرة الحفاظ: ١٢١/١.

الحاحاني قال: نقلت من كتاب الشيخ العالم أبي محمد صالح الهرمزي قال: قال صالح بن عبد الحليم: سمعت عبد السلام بن يزيد الصنهاجي يقول: سألت ابن بكُّون عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرُّك هل يجوز أو يُمنع؟ فقال: هو جائز وما زال الناس يتبركون بقبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان"(١).

ومنها: ما ذكره محمّد بن حبّان في كتابه مشاهير علماء الأمصار: "أنَّ زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب كان مِن أفاضل أهل البيت عليهم السلام وعبّادهم، قتل بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة، وصُلب على خشبة، فكان العباد يأوُون إلى الخشبة بالليل يتعبَّدون عندها، وبقي ذلك الرسم عندهم بعد أنْ حُدر عنها... ثمَّ أفاد: قلَّ مَن قصدها لحاجة فدعا الله عند موضع الخشبة إلاَّ استجيب له"(٢).

ومنها: ما أورده في أسد الغابة، قال: وروينا من وجوه عن عمر أنّه خرج يستسقي وخرج معه العباس، فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك صلى الله عليه وآله وسلم ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما .. ثم قال فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس: ترون، ثم تلاءمت واستتمت ومشت فيها ريح هزَّت ودرَّت، فوالله ما برحوا حتى

---

(١) وفاء الوفاء للسمهودي: ٦٩/١.

(٢) مشاهير علماء الأمصار لابن حبّان: ج ٦٣/١.

أعقلوا الجدر وقلّصوا المآزر وطفق الناس بالعباس يتمسّحون أركانه ويقولون هنيئاً لك ساقي الحرمين[1].

وأفاد الإمام النووي: " ويُستسقى بالخيار من أقرباء رسول الله ﷺ لأنَّ عمر استسقى بالعباس وقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنَّا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا، فيُسقون"[2].

وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري " يُستفاد من قصَّة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة "[3].

هذا بعض ما ورد في كتب علماء العامة فيما يرتبط بالتبرُّك بآثار أهل البيت عليهم السلام ومن يتصل بقرابةٍ إلى رسول الله ﷺ.

وبمجموع ما ذكرناه يتبيّن فساد دعوى أن التبرُّك بآثار النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من الشِرك.

والحمد لله رب العالمين.

الشيخ محمّد صنقور

١٤ / ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

---

(١) أسد الغابة: ١٦٧/٣ ترجمة عبّاس بن عبد المطّلب رقم ٢٧٩٧، صحيح البخاري باب صلاة الاستسقاء ٣٢/٢ ح ٩٤٧.

(٢) المجموع شرح المهذب للإمام النووي: ٦٨/٥ كتاب الصلاة باب الاستسقاء.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٢٩٩/٢.

فلسفة التوسُّل
ودليل شرعيّته

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

اللَّهمَّ صلِّ عَلىٰ محمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد

السؤال :

ما هي فلسفة التوسُّل؟ وكيف نوفِّق بين القول بشرعية التوسُّل وبين قوله تعالى: " ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ "؟

الجواب :

إنَّ واحداً من الغايات التي نشأ عنها تشريع التوسُّل بالأنبياء والأولياء هو توثيق علاقة الحب والولاء بين الناس وبينهم، وإذا ما توثقت أواصر الحب والولاء وشعر الناس بالانجذاب الروحي لأولياء الله الصالحين كان ذلك باعثاً للاقتداء بهم والعمل بهديهم، وبذلك يكون التوسُّل واحداً من طرق الهداية التي أرادها الله عز وجل لخلقه.

وأمّا كيف يكون التوسُّل مفضياً لتوثيق العلاقة بين الناس وبين أولياء الله الصالحين فهو أنَّ الإنسان بطبعه إذا شعر أن أحداً كان سبباً في قضاء حوائجه أو كان سبباً في خلاصه من عذاب مرتقَب أو بلاء واقع

فإنه ينجذب نحوه ويستشعر حبّه والأنس بذكره وذكر محاسنه ومكارم أخلاقه، وذلك ما يدعوه لتمثُّلها والرغبة في الاتصاف بها.

ولأنَّ الإنسان بطبعه يكون أقدر على التفاعل بالمعاني عندما تكون ماثلة أكثر من قدرته على التفاعل بها عندما تكون مجرّدة، لأنَّ الأمر كذلك كان من المناسب ربط الإنسان معنوياً بشخصيات تمثَّلت الكمال الإنساني وتوفرت على سجايا الخير والصلاح وبلغت مراتب سامية في العبودية لله عزّ وجلّ، فبتوثيق علاقة الإنسان بأمثال هؤلاء يتيسَّر له سلوك الطريق المُفضي للهدى والصلاح والتخلُّق بالفضيلة ومكارم الأخلاق.

لذلك قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، وقال في مورد آخر: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[2].

وإذا كان لتوثيق العلاقة بالصالحين هذا الأثر كان من المناسب اتخاذ الوسائل العقلائية المُفضية لذلك، والتوسُّل واحد من أهم تلك الوسائل، فذلك هو فلسفة التشريع الإلهي للتوسل.

وثمّة منشأ آخر لتشريع التوسُّل هو أنَّ في ذلك تكريماً للصالحين الذين بذلوا جهوداً مضنية من أجل أن تكون كلمة الله هي

---

(١) سورة الأحزاب/٢١.

(٢) سورة الممتحنة/٤.

العليا، فبعد أن هذّبوا أنفسهم وسلكوا أصعب الطرق وأحمزها من أجل ترويضها وتكميلها وحملوا أرواحهم على أكفِّهم وبذلوا كلَّ ما كان تحت أيديهم وتحمَّلوا مرارة الظلم والقسوة التي كانت تُمارس معهم مِن قِبَل الجبابرة والظالمين، كل ذلك كان من أجل الله عز وجل وفي سبيل هداية خلقه، لذلك استوجبوا تكريمه لهم والثناء عليهم والتنويه بهم واعتبارهم وسائط لعباده في قضاء الحوائج وصرف البلاء والعذاب قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ**﴾[1].

حقيقة التوسُّل

المراد من التوسُّل هو اتّخاذ الوسائل المُفضية للقرُّب مِن الله تعالى، فكلُّ عمل و قول ينتهي بالإنسان إلى القرب من الله تعالى فذلك الفعل أو القول وسيلة من وسائل الوصول لله جلَّ وعلا، لذلك كان الدعاء وسيلة وكان الاستغفار وسيلة وكذلك العمل الصالح ومطلق أعمال البرّ والخير وهكذا الصلاة والطواف والسعي والرمي كلها من وسائل القرب الإلهي.

فعندما يصلِّي الإنسان لقضاء حاجته ثمّ يسأل الله حاجته فهذا معناه التوسُّل بالصلاة ليكون قريباً من الله فتقضى حاجته، وهكذا عندما نذكر أسماء أهل البيت عليهم السلام مثلاً بين يدي الله عزّ وجلّ ونسأل الله بهم أنْ

---

(١) سورة الأنفال/٣٣.

يقضي حوائجنا فذلك معناه اتخاذ أهل البيت عليهم السلام وسيلة للتقرب من الله لنكون أهلاً لاستجابة الله عزّ وجلّ لدعائنا.

وليس ذلك مِن الشرك، إذ أنَّ الشرك يعني العبوديّة لغير الله عزّ وجلّ أو توهُّم أن الذي ينفع ويضر هو غير الله عزّ وجلّ وهذا ماكان عليه عرب الجاهليّة.

أمَّا المسلمون ومنهم الشيعة فهم إنما يعبدون الله وحده، ويعتقدون أنّه الذي ينفع ويضر وليس من أحدٍ غيره ينفع ويضر، غايته أنهم يتقربون إليه تعالى بوسائل القرب التي شرّعها مثل الصلاة والصيام والعمل الصالح والإقرار بنبوّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإمامة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام والإقرار باجتبائه لهم واصطفائه لهم على سائر خلقه، ومن البيِّن أن الإقرار بما جاء به الله يوجب القرب من الله عز وجل فيكون ذلك مقتضياً لاستجابة الدعاء.

وبذلك يتبين أن قوله تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[1] معناه توسَّلوا إليَّ بالدعاء فإنِّي أستجيب لكم، فإنَّ الدعاء واحد من وسائل القرب لله تعالى وليس هو الوسيلة الوحيدة، إذ أنَّ الآية المباركة ليست في مقام الحصر ولذلك ورد في آية أخرى الأمر باتخاذ الوسيلة المفضية للقرب إلى الله، قال تعالى: ﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[2] وهي دليل بإطلاقها على عدم اختصاص الوسيلة بالدعاء.

---

(١) سورة غافر/٦٠.

(٢) المائدة رقم ٣٥.

الروايات الدالة علىٰ مشروعيّة التوسُّل

وردت روايـات كثيرة من طـرق الشيعة والسنَّة تـدلُّ عـلى مشروعية التوسُّل وهي بمجموعها تفوق حدَّ التواتر بـل أنَّ الوارد مـن طرق السنّة وحدهم يبلغ حدَّ التواتر أو يزيد، ونحن هنا سوف نـذكر بعض ما ورد من طرقهم، لأن ذلك أبلغ في الحجَّة عليهم.

١ ـ روى الحاكم النيسابوري في المستدرك عـلى الصحيحين بسنده عن عثمان بن حنيف أنه قال: أن رجلاً ضريراً أتـى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله لي أن يعافيني، فقال ﷺ: "إنْ شئت دعوت وإنْ شئت صبرت وهو خير" فقال: ادعُه، فأمره أن يتوضّأ فيُحسن وضوءه ويصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك وأتوجُّه إليك بمحمدٍ نبي الرحمة، يا محمَّد إنِّي قد توجَّهت بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتقضى اللهم فشفِّعه فيَّ". قال: عثمان بن حنيف: "والله ما تفرَّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأنْ لم يكن به ضر"[١].

قال الحاكم النيسابوري: "هـذا الحديث صحيح عـلى شرط الشيخين أي البخاري ومسلم[٢]، وروى هذا الحديث ابن ماجة في سننه

---

(١) مستدرك الصحيحين: ٣١٣/١.

(٢) نفس المصدر.

وقال: هذا حديث صحيح[1]. ورواه الترمذي في صحيحه[2]، وكذلك رواه أحمد في مسنده وأخرج له طرقاً ثلاثة إلى عثمان بن حنيف[3]، ورُوِي في المعجم الكبير للطبراني والمعجم الصغير[4].

هذا من جهة السند وأما من جهة الدلالة فالرواية صريحة في مشروعية التوسُّل بالنبي ﷺ بل في رجحانه ومطلوبيته. فمضامين الدعاء الذي علَّمه الرسول ﷺ للضرير اشتملت على الأمر بالتوجُّه إلى الله تعالى لقضاء الحاجة بالنبي ﷺ وهذا هو معنى التوسُّل.

٢ ـ روى الطبراني بسنده عن أنس بن مالك أنّه لمَّا ماتت فاطمة بنت أسد أم الإمام علي عليه السلام دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال: " رحمك الله يا أمي، كنتِ أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفساً طيباً وتُطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تُغسَّل ثلاثاً ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقها، ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا

---

(١) سنن ابن ماجه: ج ٤٤١/١ رقم ١٣٨٥.

(٢) صحيح الترمذي ج ٥ كتاب الدعوات باب ١١٩ ح ٣٥٧٨.

(٣) مسند أحمد: ج ١٣٨/٤.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ج٩ باب ما أسند إلى عثمان بن جنيف رقم ٨٣١١، المعجم الصغير ١٨٣/١.

قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده، فلمّا فرغ دخل رسول الله فأضطجع فيه، وقال: "الله الذي يحي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بن أسد، ولقِّنها حجتها، ووسِّع عليها مدخلها بحقِّ نبيِّك والأنبياء الذين مِن قبلي، فإنّك أرحم الراحمين"[1].

روى هذا الحديث الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين[2]، وهو لا يروي في كتابه هذا إلاّ ما صحَّ سنده بحسب الضوابط المعتمَدة عند البخاري ومسلم كما صرَّح هو بذلك، ورواه كذلك جمع من المحدّثين كابن عبد البرّ في الاستيعاب[3]، والذهبي في سير أعلام النبلاء[4]، والحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد[5]، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال[6] وغيرهم.

والحديث كما تلاحظون صريح في المطلوب حيث اشتمل دعاءُ النبي ﷺ لفاطمة على التوسُّل بحقِّه وحقِّ الأنبياء الذين بُعثوا قبله.

٣ـ روى ابن ماجة في سننه بسنده إلى أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: "اللهمّ إنّي

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني: ٣٥٦ـ٣٥٧.

(٢) مستدرك الصحيحين ج٣/١٠٨.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البرّ على هامش الإصابة ج٤/٣٨٢.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢/١١٨ رقم ١٧.

(٥) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩/٢٥٦، ٢٥٧.

(٦) كنز العمّال للمتّقي الهندي ح رقم ٣٧٦٠٨.

أسألك بحقِّ السائلين عليك، وأسألك بحقِّ ممشاي هذا، فإنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سُمعةً، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت" أقبلَ اللهُ عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك"(١).

الحديث مِن حيث الدلالة صريح في مشروعية التوسُّل إذ لا معنى لقوله ﷺ: " أسألك بحقّ السائلين عليك" إلاّ ذلك، ولا معنى للقسم على الله تعالى بالعمل الصالح وهو ممشاه للصلاة إلا ذلك، فالحديث يتضمَّن الحثَّ على التوسُّل بالصالحين والعمل الصالح لغرض إنجاز الحاجة التي يرجو العبد من الله تعالى قضاءها، فلأن العبد يبتغي مرضاة الله تعالى وغفرانه ويرجو الاتقاء من النار كانت الوسيلة بحسب ما ورد في الدعاء المأثور عن النبي ﷺ هي القسم على الله تعالى بحق السائلين عليه وبحق عمله الصالح وهو ممشاه للصلاة وحينئذٍ يُنجز الله تعالى له حاجته وهي أن يُقبل الله تعالى عليه بوجهه، فالنبي ﷺ بهذا الدعاء يُرشد أمته إلى وسيلة مِن وسائل استجابة الدعاء وتحصيل الغرض.

هذا من حيث الدلالة، وأما من حيث السند فالرواية صحيحة لولا اشتمال سندها على عطية العوفي، فقد ضعَّفه بعضهم، والظاهر أنَّ منشأ تضعيفه هو تشيُّعه كما يُشعر بذلك ما ذكره ابن حجر في تقريب

(١) سنن ابن ماجة: ٢٥٦/١ ح ٧٧٨ باب المشي إلى الصلاة، مسند أحمد: ٢١/٣.

التهذيب "عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي أبو الحسن صدوق يخطئ كثيراً، كان شيعياً مدلّساً"[1]. هذا وقد وثّقه ابن سعد في تهذيب التهذيب[2] ووصفه الذهبي في ميزان الاعتدال بالتابعي الشهير[3]، وعليه لا يبعد أنَّ منشأ تضعيف البعض له هو تشيُّعه لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

٤ ـ روى البيهقي في دلائل النبوة عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال: ربي أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله عز وجل: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال لأنك يا رب لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيَّ روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله عز وجل: صدقت يا آدم إنّه لأحبُّ الخلق إليَّ، وإذ سألتني بحقه غفرت لك، ولولا محمّد ما خلقتك[4].

روى هذا الحديث النيسابوري في مستدركه على الصحيحين وهو لا يروي في كتابه إلا ما صحَّ سنده بناءً على الضوابط والشرائط

---

(١) تقريب التهذيب ج٢/٢٤ رقم ٢١٦.

(٢) تهذيب التهذيب ج٧/٢٢٧ رقم ٤١٣.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي.

(٤) دلائل النبوّة للبيهقي: ٤٨٩.

المعتمدة عند الشيخين كما أفاد هو ذلك.

هذا وقد اشتمل الحديث على إخبار النبي ﷺ عن توسُّل آدم بحقِّه وأنَّ الله تعالى أنجز له دعوته بذلك حيث ورد في الحديث: " وإذ سألتني بحقه غفرت لك " ففي الحديث دلالة صريحة على المطلوب خصوصاً وأنَّه لا يمكن للنبي الكريم ﷺ أنْ يخبر بمثل هذا الخبر إلا عن الله جلَّ وعلا نظراً لكونه من مكنون الغيب.

٥ ـ روى البخاري في صحيحه قال: كان عمر بن الخطاب إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال: اللهم إنا كنَّا نتوسَّل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا، قال: فيُسقون"[١].

وقد روى ابن الأثير في كتابه أسد الغابة قال: استسقى عمر بن الخطاب بالعباس عام الرمادة لما اشتد القحط، فسقاهم الله تعالى به وأخصبت الأرض، فقال عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه[٢].

والرواية الواردة في صحيح البخاري صريحة كما تلاحظون في أنَّ مشروعية التوسُّل متلقَّاة عن الرسول ﷺ كما هو مقتضى قول عمر: " إنا كنا نتوسل بنبينا " كما هي صريحة في وضوح الحكم بالمشروعية في أذهان الصحابة كما تعبِّر عن ذلك الفقرة ذاتها.

---

(١) صحيح البخاري باب صلاة الاستسقاء: ٣٢/٢ ح رقم ٩٤٧.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ترجمة عبّاس بن عبد المطّلب رقم ٢٧٩٧.

والرواية كذلك صريحة في أنَّ المرتكز في أذهان الصحابة أن التوسُّل يكون بالنبي ﷺ ويكون بغيره كما هو مقتضى التوسُّل بالعباس بن عبد المطلب.

٦ ـ روى الطبراني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين ثم قل: "اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، فتذكر حاجتك.."[1].

في هذه الرواية دلالة على فساد ما ادّعاه البعض من أنّ التوسُّل بالنبي ﷺ إنما يصح في حياته دون زمن وفاته.

وأمّا من حيث السند فهي صحيحة وإن ضعَّفها البعض بدعوى اشتمالها على روح بن صلاح والذي ذكر أن الجمهور قد ضعَّفوه في حين أنه لم يضعِّفه سوى ابن عدي كما أفاد ذلك الشيخ السبحاني، وأفاد أنَّ الحاكم وابن حبَّان قد وثّقاه[2].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج٩/١٦-١٧ باب ما أسند إلى عثمان بن حنيف رقم ٨٣١٠.

(٢) الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني ج٤/٢٤٣.

على أنَّ سند الرواية في طريق الطبراني وفي طريق البيهقي[1] لم يشتملا على روح بن صلاح وإنّما اشتملا على روح ابن القاسم، فلعل من ضعَّف السند غفِل عن ذلك أو انتابته عجلة أو قصد التعمية على القراء.

وثمة روايات أخرى أعرضنا عن ذكرها نظراً لكون ما نقلناه كافياً لإثبات دعوى مشروعية التوسُّل، كما يمكن التمسُّك لذلك بروايات التبرُّك التي نقلنا شطراً منها في بحث التبرُّك.

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) دلائل النبوّة للبيهقي ١٦٨/٦.

المحتويات